المحاضرة الثانية
الإبستمولوجيا الكلاسيكية :

1-الفلسفة اليونانية :

تعد الفلسفة اليونانية هي المرجعية الأساسية لنظريات المعرفة لذلك يتوجب علينا الانطلاق منها :
ومن أشهر فلاسفة العلم الغربيين، هناك غاستون باشلار، كارل بوبر، ألكسندر كواري، بول فيرابند.
أولاً – الأبستمولوجيات الفلسفية:
وتشمل صوراً من المعرفيات التي ضمها تاريخ الفلسفة اليونانية (أرسطو - أفلاطون)
والفلسفة الإسلامية (الفارابي- ابن سينا - ابن رشد)
والمسيحية (كوبرنيكوس - غاليلي) .
و الايبستمولوجيا الحديثة مع (ديكارت- فرانسيس بيكون- كانط) .
و الايبستمولوجيا المعاصرة أو الايبستمولوجيا المفتوحة (غاستون باشلار –توماس كون- لاكاتوش- كارل بوبر-).

أ-نظرية المعرفة عند أفلاطون (347/427 ق.م)

أفلاطون هو فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب عدد من الحواراتالفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو .وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم، كان تلميذاً لسقراط، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم.
ظهر نبوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية) نحو ثلاثين محاورة) التي تتناول مواضيع فلسفية مختلفة :نظرية المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات،الميتافيزيقا، الأخلاق والسياسة.
- يعتقد أفلاطون أن المعرفة تذكر حيث ينطلق من المعرفة الحسية الى المعرفة اليقينية اعتمادا على منهج الجدل الصاعد لأن العقل كان يحيا في عالم المثل و عند مفارقته لذلك العالم نسي أفكاره لذلك وجب أن يتذكرها عند الحاجة . حيث يرى أن أنواع المعرفة أربعة[1]:
الإحساس و هو إدراك عوارض الأجسام أو أشباحها.
الظن , هو نعمة إلهية و ليس اكتساباً عقلياً و هو بمثابة قلق في النفس يدفعها إلى طلب العلم.
الاستدلال و فيه يتبع منهج الرياضيين في حل المشاكل بالإيجاب أو السلب.
التعقل و هو إدراك الماهيات المجردة من كل مادة و هو أسمى درجات المعرفة.

نظرية المُثل:
المُثل عن أفلاطون هي الصور المجردة أو الحقائق الخالدة في عالم الإله و هي لا تندثر و لا تفسد و لكنها أزلية أبدية و الذي يفسد و يندثر إنما هو هذا الكائن المحسوس . و بالنسبة لأفلاطون هناك عالمان عالم العقل أو عالم الإله و فيه المُثل العقلية و الصور الروحانية و عالم الحس أو عالم الظلال و فيه الصور الجسمانية و الأشخاص الحسية . فكأن عالم الحس عالم الظواهر المتغيرة و كأن عالم العقل عالم الحقائق الثابتة . و نسبة الحقائق التي في عالم العقل إلى النسخ التي في عالم الحس نسبة الأشخاص الحقيقيين إلى الصور التي في المرآة[2].
إن الفرق بين الصور المنطبعة في مرآة الحس و الحقائق الموجودة في عالم العقل هو أن صور المرآة الحسية صور خيالية متغيرة على حين أن المتمثل من الحقائق في عالم العقل صور روحانية مجردة أو في مُثل ثابتة تحرك الأشخاص و لا تتحرك و لها الوجود الدائم و الثبات المستمر.

1- ألبير ديورانت ،قصة الحصارة ،ترجمة زكي نجيب محمود.
2-الخالدون من أعلام الفكر، أحمد الشنواني: ج 1دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع 2007.

ب- نظرية المعرفة عند أرسطو (384/322ق.م)

(أرسطو) فيلسوف يوناني كان أحد تلاميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر .كتب في مواضيع متعددة تشمل الفيزياء، والشعر، والمنطق، وعبادة الحيوان، والأحياء، وأشكال الحكم .
ولقد ميز أرسطو في الفلسفة بين:

-1الجانب النظري الذي يتناول الوجود ومكوناته وعلله وأصوله.
-2والجانب العملي الذي يتناول النشاط الانساني.
-3والجانب الشعري الذي يتناول الابداع.
وموضوع العلم عنده هو العام، الذي يمكن التوصل إليه عن طريق العقل. ومع ذلك فإن العام لا يوجد إلا في الجزئي الذي يُدرك بطريقة حسية ولا يُعرف إلا عن طريق الجزئي، وشرط المعرفة بالعام هو التعميم الاستقرائي الذي يكون مستحيلا بدون الادراك الحسي. وقد ميز أرسطو بين علل أولية أربع هي:
-1المادة مثال : الخشب سبب الطاولة
-2الصورة (الماهية، ماهية الوجود) مثل شكل الطاولة وهي تحقق ما ليس إلا إمكانية في المادة.
-3الفاعلة مثل النجار سبب في صناعة الطاولة
-4الغائية مثل غاية الطاولة هي الجلوس ثم هذه الأسباب أو العلل لها علة أولى هو الله.
واعتبر أرسطو الطبيعة كلها تحولات متتابعة من "المادة" إلى "الصورة" وبالعكس. ولكن أرسطو لم ير في المادة إلا مبدأ الانفعال، ونسب كل فعل إلى الصورة التي أرجع إليها بداية الحركة وغايتها. والمصدر الأول لكل حركة هو الله، « المحرك الأول الذي لا يتحرك ». ومع هذا فإن نظرية أرسطو المثالية في "الصورة" هي – في نواح عدة – « أكثر موضوعية من مثالية أفلاطون، وأبعد منها مدى وأكثر منها يقينا، ومن ثم فهي في فلسفة الطبيعة أكثر مادية في الغالب » (لينين، المجلد 38 ص 282). « إن أرسطو يقترب كثيرا من المادية » (المصدر السابق، ص 287). ويرتبط المنطق الصوري عند أرسطو ارتباطا وثيقا بنظرية الوجود ونظرية المعرفة ونظرية الحق.

أ –**الإبستمولوجيا الحسية:**

أو المعرفيات التجريبية وهي نوع من المعرفيات تعتمد " الحس " أو " التجربة " طريقاً وحيداً لإكتساب المعرفة . وهنا الإستناد جاء على طريق المعرفة وليس على نظرية المعرفة . وقد جاء التأسيس لهذا النوع من الأبستمولوجيات في كتاب " فرنسيس بيكون " (1561 – 1626 م) الذي عنوانه " الأورغانون الجديد " أي المنطق الجديد . والذي طبع في اللاتينية أولاً في العام 1620 م ، ومن ثم ترجم وطبع بالإنكليزية في العام 1863 م . وإن الأسم فيه إشارة إلى " أورغانون أرسطو " . فالأرغانون الجديد عند بيكون هو نظام جديد في المنطق يعتمد الإستقراء بدلاً من الإستدلال . ولهذا كان بيكون يعتقد أن أورغانونه له السلطة العليا على الأورغانون القديم .

ومن ثم تتوجت بنزعة " جون ستيوارت ميل " (1806- 1873) الحسية المتطرفة والتي ظهرت في كتابه المعنون " نظام علم المنطق " والذي نشره في العام 1843

ب –الإبستمولوجيا العقلية:

إنه إتجاه معرفي حديث يعتمد " العقل " الطريق الوحيد لإكتساب المعرفة . إن هذا الإتجاه إرتبط بنخبة من الفلاسفة العقليين الذين إنتجوا لنا نصوصاً أبستمولوجية في غاية الأهمية في تاريخ الأبستمولوجيا عامة والنزعة العقلية على وجه الخصوص ، كان في طليعتهم الفيلسوف الفرنسي " ديكارت "(1596- 1650) والذي ركز مشروعه الأبستمولوجي في كتابه المعنون " تأملات في الفلسفة الأولى " والذي صدر لأول مرة باللغة الاتينية في العام 1641 ، ومن ثم ظهرت له ترجمة فرنسية في العام 1647 ، وبعد أكثر من قرن ونصف جاءت الترجمة الإنكليزية (التي قام بها جون فيتش في العام 1901.

ومن ثم جاء " باروخ إسبينوزا " (1632- 1677) وهو من أكبر الفلاسفة العقلانيين ، وقد تأثر بكل من " إقليدس " (عاش بحدود 300 ق.م وهو صاحب كتاب الأصول في الهندسة) و" ديكارت " . وفي أبستمولوجياته كان يتطلع إسبينوزا إلى صياغة مكوناتها على صورة موديل هندسي . وفعلاً نجح إسبينوزا في كتابه " مبادئ الأخلاق " في بناء الأخلاق على صورة مصفوفات هندسية تبدأ بتعريفات وبديهيات ... . وفي مضمار عمله في الأبستمولوجيات العقلية ، أعتقد إسبينوزا " في إمكانيته إمتلاك المعرفة الأولية " ومن ثم حدد ثلاثة أنواع من المعرفة.

ج- الإبستمولوجيا النقدية:

إنها إتجاه أبستمولوجي حديث مارس عملية النقد للإتجاهين المعرفيين السابقين (أي نقد للأبستمولوجيا الحسية والعقلية على حد سواء) . ومثل هذه النزعة الأبستمولوجية في تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة ، الفيلسوف الألماني " عمانوئيل كانط " (1724- 1804) هو فيلسوف ألماني ، وهو آخر الفلاسفة المحدثين ،الذي كان له تأثيراً واسعاً في عموم البيئات الفلسفية الأوربية عامة والأبستمولوجية خاصة . وفعلاً أن كانط في طرف من كتابه أنتقد الأبستمولوجيا التقليدية : أبستمولوجيا التجريبين والعقليين . وفي طرف آخر القى الضوء على النهج الكانطي في تأسيس أبستمولوجيا نقدية .

1- خاتمة:

مما تقدم نستنتج أن إن العلم لا يفهم بدون إطاره الفلسفي والتاريخي، والفلسفة هي تلك الشجرة الضخمة التي تؤلف الميتافيزيقيا فيها الجذور العميقة الضاربة في التربة، والعلوم المتفرقة بما فيها الطب والهندسة والكيمياء والكوسمولوجيا والانثروبولوجيا و السوسيولوجيا هي فروعها الممتدة في السماء.كما أن هناك علاقة جدلية بين العلم والفلسفة، فالعلم يقوم بقفزات نوعية من حين لآخر منشئاً قطيعةً معرفية "ابستمولوجية" مع المستويات العلمية السابقة، كما حدث مع فكر "ابن رشد" والفلسفة اليونانية؛ حيث تم الدخول إلى فضاء معرفي جديد، يقوم على منظومة الشك ـ اليقين، والتجربة ـ الاستقراء.

1-محمد جلوب الفرحان ؛ الخطاب الفلسفي التربوي الغربي ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت 1999 ، ص ص 147 – 148

2-مجلة أوراق فلسفية جديدة / المجلد الرابع / العدد السابع / صيف 2012.